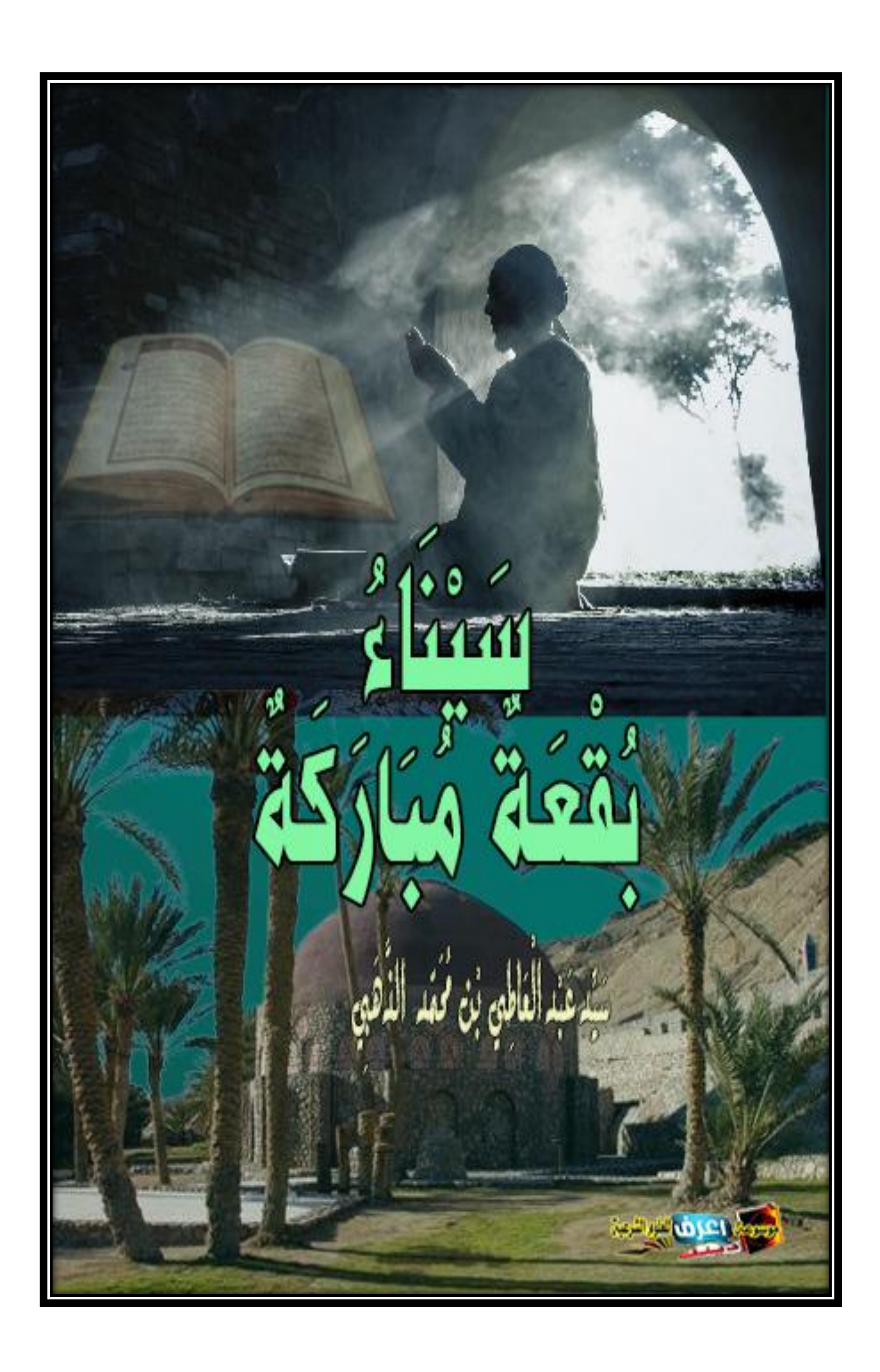

سَيْنَاءُ
بُقْعَةٌ مُبَارَكَةٌ
عبد العاطي بن محمد الذهبي

بسم الله الرحمن الرحيم



سَيْنَاءُ بُقْعَةٌ مُبَارَكَةٌ

الشيخ

سيد عبد العاطي بن محمد الأزهري





الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي النبي الكريم–صلي الله عليه وسلم–وعلي آله صحبه أجمعين..

أما بعد..

يسر موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية نشر هذه الرسالة (سيناء بقعة مباركة)،لأهميتها وموقعها الديني والجغرافي..

اقرأ وتدبر لتدرك أهمية هذه البقعة في أرض الوطن وأم الدنيا لتكون علي بينة.

والشيخ سيد عبد العاطي يوضح بجلاء وبالأدلة الشرعية يبين أهميتها الدينية والتاريخية وقد اتحفنا بها ،وقامت الموسوعة بعمل غلافة تليق بها ونشرها الكترونيًا علي صفحات الموسوعة المختلفة لتكون في متناول الجميع لنشرها وتداولها دعويًا ونسأل الله القبول والإخلاص أنه ولي ذلك والقادر عليه.

مع تحيات

وموسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية





الْحَمْدُ لِله رَبِّ الأَرْبَابِ، وَمُجْرِي السَّحَابِ، وَهَازِمِ الأَحْزَابِ، وَمُنَزِّلِ الْكِتَابِ، وَمُسَبِّبِ الأَسْبَابِ، وَخَالِقِ الْبَحْرِ العُبَابِ، بَثَّ فِي الْكَوْنِ آيَاتِ عَظَمَتِهِ لِيَتَدَبَّرَ وَيَتَّعِظَ أُولُواالألْبَابِ،وَعَدَ عِبَادَهُ

الصَّالِحِينَ الْمُتَّقِينَ عَظِيم الثَّوَابِ،وَتَوَعَّدَ الْمُعْرِضِينَ

الْمُعَانِدِينَ بِأَلِيمِ الْعِقَابِ وَأَشْهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا ظَهَرَ لِلأَعْيُنِ وَمَا عَنْهَا غَابَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَحَبِيبَنَا مُحَمَّداً عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الآلِ وَالأَصْحَابِ.

أَمَّا بَعْدُ:

•فَبَيْنَ يَدَيْكَ يَا طَالِبَ الْعِلْمِ–رَحِمَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ–رِسَالَةٌ مُخْتَصَرَةٌ عَنْوَنْتُ لَهَا بِهَذَا الْعُنْوَانِ(سَيْنَاء بُقْعَةٌ مُبَارَكَةٌ)فِيهَا بَيَانٌ لِمَنْزِلَةِ أَرْضِ سَيْنَاء الَّتِي يَحْمِلُ تُرَابُهَا آثَارَ أَقْدَامِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ،وَبِهَا أَمَاكِنُ مُبَارَكَةٌ مُقَدَّسَةٌ،وَبِهَا جَبَل الطُّور الَّذِي شَهِدَ نُزُولَ التَّوْرَاة عَلَى مُوسَى الْكَلِيم–عَلَيْهِ السَّلَامُ–،وَبِهَا شَجَرَةٌ لَا يُوجَدُ لَهَا مَثِيلٌ إِنَّهَا شَجَرَةُ الزَّيْتُون،وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْمَوْضُوعَاتِ الْمُهِمَّةَ لَابُدَّ لَهَا مِنْ تَمْهِيدٍ فَأَقُولُ مُمَهِّدًا:

•إِنَّ اللهَ تَعَالَى مُنْفَرِدٌ بِاخْتِيَارِ مَنْ يَخْتَارُهُ وَيَخْتَصُّهُ مِنَ الْأَشْخَاصِ وَالْأَوَامِرِ وَالْأَزْمَانِ وَالْأَمَاكِنِ،قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ}.(القصص:٦٨).

-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِرِهَا:{هَذِهِ الْآيَاتُ، فِيهَا عُمُومُ خَلْقِهِ لسَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَنُفُوذُ مَشِيئَتِهِ بِجَمِيعِ الْبَرِيَّاتِ ، وَانْفِرَادُهُ بِاخْتِيَارِ مَنْ يَخْتَارُهُ وَيَخْتَصُّهُ،مِنَ الْأَشْخَاصِ، وَالْأَوَامِرِ وَالْأَزْمَانِ وَالْأَمَاكِنِ، وَأَنَّ أَحَدًا لَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ وَالاخْتِيَارِ شَيءٌ، وَأَنَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ كُلِّ مَا يُشْرِكُونَ بِهِ،مِنَ الشَّرِيكِ، وَالظَّهِيرِ،وَالْعَوِينِ،وَالْوَلَدِ، وَالصَّاحِبَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، مِمَّا أَشْرَكَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ}.

•وَقَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ فِي كِتَابِهِ الْقَيِّمِ الْمَوْسُومِ ب(التَّفْسِيرِ الْقَيِّم):{وَإِذَا تَأَمَّلْتَ أَحْوَالَ هَذَا الْخَلْقِ، رَأَيْتَ هَذَا الِاخْتِيَارَ وَالتَّخْصِيصَ فِيهِ دَالًّا عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ تَعَالَى وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَكَمَالِ حِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَأَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَلَا شَرِيكَ لَهُ يَخْلُقُ كَخَلْقِهِ، وَيَخْتارُ كَاخْتِيَارِهِ، وَيُدَبِّرُ كَتَدْبِيرِهِ، فَهَذَا الِاخْتِيَارُ وَالتَّدْبِيرُ وَالتَّخْصِيصُ الْمَشْهُودُ أَثَرُهُ فِي هَذَا الْعَالَمِ مِنْ أَعْظَمِ آيَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ، وَأَكْبَرِ شَوَاهِدِ وَحْدَانِيَّتِهِ، وَصِفَاتِ كَمَالِهِ، وَصِدْقِ رُسُلِهِ، فَنُشِيرُ مِنْهُ إِلَى يَسِيرٍ يَكُونُ مُنَبِّهًا عَلَى مَا وَرَاءَهُ دَالًّا عَلَى مَا سِوَاهُ.

فَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ سَبْعًا فَاخْتَارَ الْعُلْيَا مِنْهَا فَجَعَلَهَا مُسْتَقَرَّ الْمُقَرَّبِينَ مِنْ مَلَائِكَتِهِ، وَاخْتَصَّهَا بِالْقُرْبِ مِنْ كُرْسِيِّهِ وَمِنْ عَرْشِهِ، وَأَسْكَنَهَا مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، فَلَهَا مَزِيَّةٌ وَفَضْلٌ عَلَى سَائِرِ السَّمَاوَاتِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا قُرْبُهَا مِنْهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وَهَذَا التَّفْضِيلُ وَالتَّخْصِيصُ مَعَ تَسَاوِي مَادَّةِ السَّمَاوَاتِ مِنْ أَبْيَنِ الْأَدِلَّةِ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ،وَأَنَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ.

وَمِنْ هَذَا تَفْضِيلُهُ سُبْحَانَهُ جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ عَلَى سَائِرِ الْجِنَانِ، وَتَخْصِيصُهَا بِأَنْ جَعَلَ عَرْشَهُ سَقْفَهَا، وَفِي بَعْضِ الْآثَارِ:(إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ غَرَسَهَا بِيَدِهِ وَاخْتَارَهَا لِخِيرَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ).

وَمِنْ هَذَا اخْتِيَارُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُصْطَفَيْنَ مِنْهُمْ عَلَى سَائِرِهِمْ، كَجِبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، وَكَانَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ:(اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ).

فَذَكَرَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِكَمَالِ اخْتِصَاصِهِمْ، وَاصْطِفَائِهِمْ، وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ، وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ غَيْرِهِمْ فِي السَّمَاوَاتِ، فَلَمْ يُسَمِّ إِلَّا هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ. فَجِبْرِيلُ: صَاحِبُ الْوَحْيِ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ، وَمِيكَائِيلُ: صَاحِبُ الْقَطْرِ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ الْأَرْضِ وَالْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ، وَإِسْرَافِيلُ: صَاحِبُ الصُّورِ الَّذِي إِذَا نَفَخَ فِيهِ أَحْيَتْ نَفْخَتُهُ بِإِذْنِ اللَّهِ الْأَمْوَاتَ، وَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ.

وَكَذَلِكَ اخْتِيَارُهُ سُبْحَانَهُ لِلْأَنْبِيَاءِ مِنْ وَلَدِ آدَمَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَهُمْ مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، وَاخْتِيَارُهُ الرُّسُلَ مِنْهُمْ، وَهُمْ ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ، عَلَى مَا فِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ الَّذِي رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَابْنُ حِبَّانَ فِي (صَحِيحِهِ)، وَاخْتِيَارُهُ أُولِي الْعَزْمِ مِنْهُمْ، وَهُمْ خَمْسَةٌ الْمَذْكُورُونَ فِي سُورَةِ (الْأَحْزَابِ) وَ(الشُّورَى) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:{وَإِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ}.(الأحزاب: ٧)، وَقَالَ تَعَالَى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ}.(الشُّورى: ١٣)،وَاخْتَارَ مِنْهُمُ الْخَلِيلَيْنِ إبْراهِيمَ وَمُحَمَّدًا– صَلّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَآلِهِمَا وَسَلَّمَ–.

وَمِنْ هَذَا اخْتِيَارُهُ سُبْحَانَهُ وَلَدَ إِسْمَاعِيلَ مِنْ أَجْنَاسِ بَنِي آدَمَ، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي كِنَانَةَ مِنْ خُزَيْمَةَ، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ ولَدِ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ سَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ مُحَمَّدًا– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– .

وَكَذَلِكَ اخْتَارَ أَصْحَابَهُ مِنْ جُمْلَةِ الْعَالَمِينَ، وَاخْتَارَ مِنهُمُ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، وَاخْتَارَ مِنْهُمْ أَهْلَ بَدْرٍ، وَأَهْلَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، وَاخْتَارَ لَهُمْ مِنَ الدِّينِ أَكْمَلَهُ، وَمِنَ الشَّرَائِعِ أَفْضَلَهَا، وَمِنَ الْأَخْلَاقِ أَزْكَاهَا وَأَطْيَبَهَا وَأَطْهَرَهَا.

وَاخْتَارَ أُمَّتَهُ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ، كَمَا فِي (مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ) وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ بَهْزِ بْنِ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:(أَنْتُمْ مُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ).

قَالَ عَلِيُّ بْنُ المَدِينِيِّ وَأَحْمَدُ: حَدِيثُ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ صَحِيحٌ.

وَظَهَرَ أَثَرُ هَذَا الِاخْتِيارِ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَأَخْلَاقِهِمْ، وَتَوْحِيدِهِمْ، وَمَنَازِلِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، وَمَقَامَاتِهِمْ فِي الْمَوْقِفِ، فَإِنَّهُمْ أَعْلَى مِنَ النّاسِ عَلَى تَلٍّ فَوْقَهُمْ يُشْرِفُونَ عَلَيْهِمْ، وَفِي التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:(أَهْلُ الجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ، ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ

الْأُمَمِ)قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. وَالَّذِي فِي(الصَّحِيحِ) مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فِي حَدِيثِ بَعْثِ النّارِ

(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ)وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ.

فَإِمّا أَنْ يُقَالَ: هَذَا أَصَحُّ، وَإِمّا أَنْ يُقَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– طَمِعَ أَنْ تَكُونَ أُمَّتُهُ شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَأَعْلَمَهُ رَبُّهُ فَقَالَ:(إِنَّهُمْ ثَمَانُونَ صَفًّا مِنْ مِائَةٍ وَعِشْرِينَ صَفًّا)، فَلَا تَنَافِيَ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَمِنْ تَفْضِيلِ اللَّهِ لِأُمَّتِهِ وَاخْتِيارِهِ لَهَا أَنَّهُ وَهَبَهَا مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ مَا لَمْ يَهَبْهُ لِأُمَّةٍ سِوَاهَا، وَفِي (مُسْنَدِ الْبَزَّارِ) وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا القاسِمِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–يَقُولُ:(إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ: إِنِّي بَاعِثٌ مِنْ بَعْدِكَ أُمَّةً إِنْ أَصَابَهُمْ مَا يُحِبُّونَ حَمِدُوا وَشَكَرُوا، وَإِنْ أَصَابَهُمْ مَا يَكْرَهُونَ احْتَسَبُوا وَصَبَرُوا، وَلَا حِلْمَ وَلَا عِلْمَ، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ هَذَا وَلَا حِلْمَ وَلَا عِلْمَ؟ قَالَ: أُعْطِيهِمْ مِنْ حِلْمِي وَعِلْمِي).(والْحَدِيثُ ضَعَّفَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي السِّلْسِلَةِ الضَعِيفَةِ:٤٩٩١،٤٠٣٨).



–وَمِنْ هَذَا اخْتِيَارُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنَ الْأَمَاكِنِ وَالْبِلَادِ خَيْرَهَا وَأَشْرَفَهَا، وَهِيَ الْبَلَدُ الْحَرَامُ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اخْتَارَهُ لِنَبِيِّهِ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَجَعَلَهُ مَنَاسِكَ لِعِبَادِهِ، وَأَوْجَبَ عَلَيْهِمُ الْإِتْيَانَ إِلَيْهِ مِنَ الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، فَلَا يَدْخُلُونَهُ إِلَّا مُتَواضِعِينَ مُتَخَشِّعِينَ مُتَذَلِّلِينَ كَاشِفِي رُءُوسِهِمْ مُتَجَرِّدِينَ عَنْ لِبَاسِ أَهْلِ الدُّنْيا، وَجَعَلَهُ

حَرَمًا آمِنًا لَا يُسْفَكُ فِيهِ دَمٌ، وَلَا تُعْضَدُ بِهِ شَجَرَةٌ،وَلَا يُنَفَّرُ لَهُ صَيْدٌ، وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهُ، وَلَا تُلْتَقَطُ لُقَطَتُهُ لِلتَّمْلِيكِ بَلْ لِلتَّعْرِيفِ لَيْسَ إِلَّا، وَجَعَلَ قَصْدَهُ مُكَفِّرًا لِمَا سَلَفَ مِنَ الذُّنُوبِ، مَاحِيًا لِلْأَوْزَارِ، حَاطًّا لِلْخَطَايا، كَمَا فِي (الصَّحِيحَيْنِ) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: (مَنْ أَتَى هَذَا البَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)، وَلَمْ يَرْضَ لِقَاصِدِهِ مِنَ الثَّوَابِ دُونَ الْجَنَّةِ، فَفِي (السُّنَنِ) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

–قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:(تابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ دُونَ الْجَنَّةِ). وَفِي (الصَّحِيحَيْنِ) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ:(الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةَ)، فَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْبَلَدُ الْأَمِينُ خَيْرَ بِلَادِهِ، وَأَحَبَّهَا إِلَيْهِ، وَمُخْتَارَهُ مِنَ الْبِلَادِ؛ لَمَا جَعَلَ عَرَصَاتِهَا مَنَاسِكَ لِعِبَادِهِ فَرَضَ عَلَيْهِمْ قَصْدَهَا، وَجَعَلَ ذَلِكَ مِنْ آكَدِ فُرُوضِ الْإِسْلَامِ، وَأَقْسَمَ بِهِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ فِي مَوْضِعَيْنِ مِنْهُ فَقَالَ تَعَالَى:{وَهَذا البَلَدِ الأَمِينِ}. (التِّين: ٣)، وَقَالَ تَعَالَى:(لا أُقْسِمُ بِهَذَا البَلَدِ}.(البلد: ١)

وَلَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ بُقْعَةٌ يَجِبُ عَلَى كُلِّ قَادِرٍ السَّعْيُ إِلَيْهَا وَالطَّوَافُ بِالبَيْتِ الَّذِي فِيهَا غَيْرَهَا، وَلَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَوْضِعٌ يُشْرَعُ تَقْبِيلُهُ وَاسْتِلَامُهُ، وَتُحَطُّ الخَطَايَا وَالْأَوْزَارُ فِيهِ غَيْرَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ، وَالرُّكْنِ اليَمَانِيِّ.

وَثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–أَنَّ الصَّلَاةَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِمِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ، فَفِي (سُنَنِ النَّسَائِيِّ) وَ(الْمُسْنَدِ) بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–أَنَّهُ قَالَ:(صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ

فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةٍ فِي مَسْجِدِي هَذَا بِمِائَةِ صَلَاةٍ)

وَرَوَاهُ ابْنُ حِبّانَ فِي " صَحِيحِهِ "وَهَذا صَرِيحٌ فِي أَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ أَفْضَلُ بِقَاعِ الْأَرْضِ عَلَى الْإِطْلَاقِ،وَلِذَلِكَ كَانَ شَدُّ الرِّحَالِ إِلَيْهِ فَرْضًا، وَلِغَيْرِهِ مِمَّا يُسْتَحَبُّ وَلَا يَجِبُ، وَفِي (الْمُسْنَدِ) وَالتِّرْمِذِيِّ وَالنَّسَائِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ الْحَمْرَاء، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِالْحَزْوَرَةِ مِنْ مَكَّةَ يَقُولُ:(وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ).قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.



بَلْ وَمِنْ خَصَائِصِهَا كَوْنُهَا قِبْلَةً لِأَهْلِ الْأَرْضِ كُلِّهِمْ، فَلَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ قِبْلَةٌ غَيْرُهَا.

وَمِنْ خَوَاصِّهَا أَيْضًا أَنَّهُ يَحْرُمُ اسْتِقْبَالُهَا وَاسْتِدْبَارُهَا عِنْدَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ دُونَ سَائِرِ بِقَاعِ الْأَرْضِ.

وَأَصَحُّ الْمَذَاهِبِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ: أَنَّهُ لَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْفَضَاءِ وَالْبُنْيَانِ لِبِضْعَةَ عَشَرَ دَلِيلًا قَدْ ذُكِرَتْ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، وَلَيْسَ مَعَ الْمُفَرِّقِ مَا يُقَاوِمُهَا أَلْبَتَّةَ مَعَ تَنَاقُضِهِمْ فِي مِقْدَارِ الْفَضَاءِ وَالْبُنْيَانِ، وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ اسْتِيفَاءِ الْحِجَاجِ مِنَ الطَّرَفَيْنِ.

وَمِنْ خَوَاصِّهَا أَيْضًا أَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ أَوَّلُ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ، كَمَا فِي (الصَّحِيحَيْنِ) عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ:(سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–عَنْ أَوَّلِ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ؟ فَقَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى، قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ أَرْبَعُونَ عَامًا).

وَقَدْ أشْكَلَ هَذَا الحَدِيثُ عَلَى مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْمُرَادَ بِهِ فَقَالَ: مَعْلُومٌ أنَّ سُلَيْمانَ بْنَ دَاوُدَ هُوَ الَّذِي بَنَى الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ إبْرَاهِيمَ أكْثَرُ مِنْ ألْفِ عَامٍ، وَهَذَا مِنْ جَهْلِ هَذَا الْقَائِلِ، فَإِنَّ سُلَيْمَانَ إنَّمَا كَانَ لَهُ مِنَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى تَجْدِيدُهُ لَا تَأْسِيسُهُ، وَالَّذِي أسَّسَهُ هُوَ يَعْقُوبُ بْنُ إسْحَاقَ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَآلِهِمَا وَسَلَّمَ-بَعْدَ بِنَاءِ إبْرَاهِيمَ الْكَعْبَةَ بِهَذَا الْمِقْدَارِ.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى تَفْضِيلِهَا أنَّ اللَّهَ تَعَالَى أخْبَرَ أنَّهَا أُمُّ الْقُرَى، فَالْقُرَى كُلُّهَا تَبَعٌ لَهَا وَفَرْعٌ عَلَيْهَا، وَهِيَ أصْلُ الْقُرَى، فَيَجِبُ ألَّا يَكُونَ لَهَا فِي الْقُرَى عَدِيلٌ، فَهِيَ كَمَا أخْبَرَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-عَنِ (الْفَاتِحَةِ) أنَّهَا أُمُّ الْقُرْآنِ، وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ لَهَا فِي الكُتُبِ الإِلَهِيَّةِ عَدِيلٌ.



وَمِنْ خَصَائِصِهَا أنَّهَا لَا يَجُوزُ دُخُولُهَا لِغَيْرِ أصْحَابِ الْحَوَائِجِ الْمُتَكَرِّرَةِ إلَّا بِإحْرَامٍ، وَهَذِهِ خَاصِّيَّةٌ لَا يُشَارِكُهَا فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْبِلَادِ، وَهَذِهِ الْمَسْألَةُ تَلَقَّاهَا النَّاسُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-،وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ بِإِسْنادٍ لَا يُحْتَجُّ بِهِ مَرْفُوعًا(لا يَدْخُلُ أحَدٌ مَكَّةَ إلَّا بِإحْرَامٍ، مِنْ أهْلِهَا وَمِنْ غَيْرِ أهْلِهَا) ذَكَرَهُ أبُو أحْمَدَ بْنُ عَدِيٍّ، وَلَكِنَّ الحَجَّاجَ بْنَ أرْطَاةَ فِي الطَّرِيقِ، وَآخَرَ قَبْلَهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ.

وَلِلْفُقَهَاءِ فِي الْمَسْأَلَةِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: النَّفْيُ، وَالْإِثْبَاتُ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ مَنْ هُوَ دَاخِلُ الْمَوَاقِيتِ وَمَنْ هُوَ قَبْلَهَا، فَمَنْ قَبْلَهَا لَا يُجَاوِزُهَا إِلَّا بِإِحْرَامٍ، وَمَنْ هُوَ دَاخِلُهَا فَحُكْمُهُ حُكْمُ أَهْلِ مَكَّةَ، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ ، وَالْقَوْلَانِ الأَوَّلَانِ لِلشّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ.

وَمِنْ خَوَاصِّهِ أَنَّهُ يُعَاقَبُ فِيهِ عَلَى الْهَمِّ بِالسَّيِّئَاتِ وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْهَا، قَالَ تَعَالَى:{وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ}

.(الحجّ: **٢٥**) فَتَأَمَّلْ كَيْفَ عَدَّى فِعْلَ الْإِرَادَةِ هَاهُنَا بِالْبَاءِ، وَلَا يُقَالُ: أَرَدْتُ بِكَذَا إِلَّا لِمَا ضُمِّنَ مَعْنَى فِعْلِ (هَمَّ) فَإِنَّهُ يُقَالُ: هَمَمْتُ بِكَذَا، فَتَوَعَّدَ مَنْ هَمَّ بِأَنْ يَظْلِمَ فِيهِ بِأَنْ يُذِيقَهُ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ.

وَمِنْ هَذَا تَضَاعُفُ مَقَادِيرِ السَّيِّئَاتِ فِيهِ لَا كَمِّيَّاتِهَا، فَإِنَّ السَّيِّئَةَ جَزَاؤُهَا سَيِّئَةٌ، لَكِنْ سَيِّئَةٌ كَبِيرَةٌ جَزَاؤُهَا مِثْلُهَا، وَصَغِيرَةٌ جَزَاؤُهَا مِثْلُهَا، فَالسَّيِّئَةُ فِي حَرَمِ اللَّهِ وَبَلَدِهِ وَعَلَى بِسَاطِهِ آكَدُ وَأَعْظَمُ مِنْهَا فِي طَرَفٍ مِنْ أَطْرَافِ الْأَرْضِ،وَلِهَذا لَيْسَ مَنْ عَصَى الْمَلِكَ عَلَى بِسَاطِ مُلْكِهِ كَمَنْ عَصَاهُ فِي الْمَوْضِعِ الْبَعِيدِ مِنْ دَارِهِ وَبِسَاطِهِ، فَهَذَا فَصْلُ النِّزَاعِ فِي تَضْعِيفِ السَّيِّئاتِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ ظَهَرَ سِرُّ هَذَا التَّفْضِيلِ وَالِاخْتِصَاصِ فِي انْجِذَابِ الْأَفْئِدَةِ وَهَوَى الْقُلُوبِ وَانْعِطَافِهَا وَمَحَبَّتِهَا لِهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ، فَجَذْبُهُ لِلْقُلُوبِ أَعْظَمُ مِنْ جَذْبِ المِغْنَاطِيسِ لِلْحَدِيدِ، فَهُوَ الْأَوْلَى بِقَوْلِ الْقَائِلِ:

–مَحَاسِنُهُ هَيُولَى كُلِّ حُسْنٍ

وَمِغْنَاطِيسُ أَفْئِدَةِ الرِّجَالِ.



وَلِهَذا أخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ مَثَابَةٌ لِلنّاسِ، أيْ: يَثُوبُونَ إِلَيْهِ عَلَى تَعَاقُبِ الْأعْوَامِ مِنْ جَمِيعِ الأقْطَارِ، وَلَا يَقْضُونَ مِنْهُ وَطَرًا، بَلْ كُلَّمَا ازْدَادُوا لَهُ زِيَارَةً ازْدَادُوا لَهُ اشْتِيَاقًا.

-لا يَرْجِعُ الطَّرْفُ عَنْهَا حِينَ يَنْظُرُهَا

حَتّى يَعُودَ إلَيْها الطَّرْفُ مُشْتاقًا.

فَلَلَّهِ كَمْ لَهَا مِنْ قَتِيلٍ وَسَلِيبٍ وَجَرِيحٍ، وَكَمْ أُنْفِقَ فِي حُبِّهَا مِنَ الْأمْوَالِ وَالْأرْوَاحِ، وَرَضِيَ الْمُحِبُّ بِمُفَارَقَةِ فِلَذِ الْأكْبَادِ، وَالْأهْلِ وَالْأحْبَابِ وَالْأوْطَانِ، مُقَدِّمًا بَيْنَ يَدَيْهِ أنْوَاعَ الْمَخَاوِفِ وَالْمَتَالِفِ وَالْمَعَاطِفِ وَالْمَشَاقِّ، وَهُوَ يَسْتَلِذُّ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيَسْتَطِيبُهُ وَيَرَاهُ – لَوْ ظَهَرَ سُلْطَانُ الْمَحَبَّةِ فِي قَلْبِهِ– أطْيَبَ مِنْ نِعَمِ الْمُتَحَلِّيَةِ وَتَرَفِهِمْ وَلَذّاتِهِمْ.

-وَلَيْسَ مُحِبًّا مَنْ يَعُدُّ شَقَاءَهُ

عَذَابًا إذَا مَا كَانَ يَرْضَى حَبِيبُهُ.

وَهَذَا كُلُّهُ سِرُّ إضَافَتِهِ إلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِقَوْلِهِ: {وَطَهِّرْ بَيْتِيَ}. (الحجّ:٢٦).



فَاقْتَضَتْ هَذِهِ الْإضَافَةُ الْخَاصَّةُ مِنْ هَذَا الْإجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ وَالْمَحَبَّةِ مَا اقْتَضَتْهُ، كَمَا اقْتَضَتْ إضَافَتُهُ لِعَبْدِهِ وَرَسُولِهِ إلَى نَفْسِهِ مَا اقْتَضَتْهُ مِنْ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ إضَافَتُهُ عِبَادَهُ

الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ كَسَتْهُمْ مِنَ الْجَلَالِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْوَقَارِ مَا كَسَتْهُمْ، فَكُلُّ مَا أَضَافَهُ الرَّبُّ تَعَالَى إِلَى نَفْسِهِ فَلَهُ مِنَ الْمَزِيَّةِ وَالِاخْتِصَاصِ عَلَى غَيْرِهِ مَا أَوْجَبَ لَهُ الِاصْطِفَاءَ وَالِاجْتِبَاءَ، ثُمَّ يَكْسُوهُ بِهَذِهِ الْإِضَافَةِ تَفْضِيلًا آخَرَ، وَتَخْصِيصًا وَجَلَالَةً زَائِدًا عَلَى مَا كَانَ لَهُ قَبْلَ الْإِضَافَةِ، وَلَمْ يُوَفَّقْ لِفَهْمِ هَذَا الْمَعْنَى مَنْ سَوَّى بَيْنَ الْأَعْيَانِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَزْمَانِ وَالْأَمَاكِنِ، وَزَعَمَ أَنَّهُ لَا مَزِيَّةَ لِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَى شَيْءٍ، وَإِنَّمَا هُوَ مُجَرَّدُ التَّرْجِيحِ بِلَا مُرَجِّحٍ، وَهَذَا الْقَوْلُ بَاطِلٌ بِأَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ وَجْهًا قَدْ ذُكِرَتْ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، وَيَكْفِي تَصَوُّرُ هَذَا الْمَذْهَبِ الْبَاطِلِ فِي فَسَادِهِ، فَإِنَّ مَذْهَبَنَا يَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ ذَوَاتُ الرُّسُلِ كَذَوَاتِ أَعْدَائِهِمْ فِي الْحَقِيقَةِ، وَإِنَّمَا التَّفْضِيلُ بِأَمْرٍ لَا يَرْجِعُ إِلَى اخْتِصَاصِ الذَّوَاتِ بِصِفَاتٍ وَمَزَايَا لَا تَكُونُ لِغَيْرِهَا، وَكَذَلِكَ نَفْسُ الْبِقَاعِ وَاحِدَةٌ بِالذّاتِ لَيْسَ لِبُقْعَةٍ عَلَى بُقْعَةٍ مَزِيَّةٌ أَلْبَتَّةَ، وَإِنَّمَا هُوَ لِمَا يَقَعُ فِيهَا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَلَا مَزِيَّةَ لِبُقْعَةِ الْبَيْتِ، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمِنًى، وَعَرَفَةَ، وَالْمَشَاعِرِ عَلَى أَيِّ بُقْعَةٍ سَمَّيْتَهَا مِنَ الْأَرْضِ، وَإِنَّمَا التَّفْضِيلُ بِاعْتِبَارِ أَمْرٍ خَارِجٍ عَنِ الْبُقْعَةِ لَا يَعُودُ إِلَيْهَا وَلَا إِلَى وَصْفٍ قَائِمٍ بِهَا، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ رَدَّ هَذَا الْقَوْلَ الْبَاطِلَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:{وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ}.(الأنعام: ١٢٤) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ}.

أَيْ: لَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ أَهْلًا وَلَا صَالِحًا لِتَحَمُّلِ رِسَالَتِهِ، بَلْ لَهَا مَحَالُّ مَخْصُوصَةٌ لَا تَلِيقُ إِلَّا بِهَا، وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا لَهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِهَذِهِ الْمَحَالِّ مِنْكُمْ. وَلَوْ كَانَتِ الذَّوَاتُ مُتَسَاوِيَةً كَمَا قَالَ هَؤُلَاءِ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ رَدٌّ عَلَيْهِمْ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:{وَكَذَلِكَ فَتَنّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ}. (الأنعام:٥٣).

أَيْ: هُوَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يَشْكُرُهُ عَلَى نِعْمَتِهِ، فَيَخْتَصُّهُ بِفَضْلِهِ وَيَمُنُّ عَلَيْهِ مِمَّنْ لَا يَشْكُرُهُ، فَلَيْسَ كُلُّ مَحَلٍّ يَصْلُحُ لِشُكْرِهِ، وَاحْتِمَالِ مِنَّتِهِ، وَالتَّخْصِيصِ بِكَرَامَتِهِ.

فَذَوَاتُ مَا اخْتارَهُ وَاصْطَفَاهُ مِنَ الْأعْيَانِ وَالْأمَاكِنِ وَالْأشْخَاصِ وَغَيْرِهَا مُشْتَمِلَةٌ عَلَى صِفَاتٍ وَأُمُورٍ قَائِمَةٍ بِهَا لَيْسَتْ لِغَيْرِهَا، وَلِأجْلِهَا اصْطَفَاهَا اللَّهُ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي فَضَّلَهَا بِتِلْكَ الصِّفَاتِ، وَخَصَّهَا بِالِاخْتِيَارِ، فَهَذَا خَلْقُهُ، وَهَذَا اخْتِيَارُهُ {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ}

وَمَا أبْيَنَ بُطْلَانِ رَأْيٍ يَقْضِي بِأنَّ مَكَانَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ مُسَاوٍ لِسَائِرِ الْأمْكِنَةِ، وَذَاتَ الْحَجَرِ الْأسْوَدِ مُسَاوِيَةٌ لِسَائِرِ حِجَارَةِ الْأرْضِ، وَذَاتَ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–مُسَاوِيَةٌ لِذَاتِ غَيْرِهِ، وَإنَّمَا التَّفْضِيلُ فِي ذَلِكَ بِأُمُورٍ خَارِجَةٍ عَنِ الذّاتِ وَالصِّفَاتِ الْقَائِمَةِ بِهَا، وَهَذِهِ الْأقَاوِيلُ وَأمْثَالُهَا مِنَ الْجِنَايَاتِ الَّتِي جَنَاهَا الْمُتَكَلِّمُونَ عَلَى الشَّرِيعَةِ وَنَسَبُوهَا إلَيْهَا وَهِيَ بَرِيئَةٌ مِنْهَا، وَلَيْسَ مَعَهُمْ أكْثَرُ مِنَ اشْتِرَاكِ الذَّوَاتِ فِي أمْرٍ عَامٍّ، وَذَلِكَ لَا يُوجِبُ تَسَاوِيهَا فِي الْحَقِيقَةِ؛ لِأنَّ الْمُخْتَلِفَاتِ قَدْ تَشْتَرِكُ فِي أمْرٍ عَامٍّ مَعَ اخْتِلَافِهَا فِي صِفَاتِهَا النَّفْسِيَّةِ، وَمَا سَوَّى اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ ذَاتِ الْمِسْكِ وَذَاتِ الْبَوْلِ أبَدًا، وَلَا بَيْنَ ذَاتِ الْمَاءِ وَذَاتِ النّارِ أبَدًا، وَالتَّفَاوُتُ الْبَيِّنُ بَيْنَ الْأمْكِنَةِ الشَّرِيفَةِ وَأضْدَادِهَا وَالذَّوَاتِ الْفَاضِلَةِ وَأضْدَادِهَا أعْظَمُ مِنْ هَذَا التَّفَاوُتِ بِكَثِيرٍ، فَبَيْنَ ذَاتِ مُوسَى– عَلَيْهِ السَّلَامُ– وَذَاتِ فِرْعَوْنَ مِنَ التَّفَاوُتِ أعْظَمُ مِمَّا بَيْنَ الْمِسْكِ وَالرَّجِيعِ، وَكَذَلِكَ التَّفَاوُتُ بَيْنَ نَفْسِ الْكَعْبَةِ وَبَيْنَ بَيْتِ السُّلْطَانِ أعْظَمُ مِنْ هَذَا التَّفَاوُتِ أيْضًا بِكَثِيرٍ، فَكَيْفَ تُجْعَلُ الْبُقْعَتَانِ سَوَاءً فِي الْحَقِيقَةِ وَالتَّفْضِيلُ بِاعْتِبَارِ مَا يَقَعُ هُنَاكَ مِنَ الْعِبَادَاتِ وَالْأذْكَارِ وَالدَّعَوَاتِ؟!.

وَلَمْ نَقْصِدِ اسْتِيفَاءَ الرَّدِّ عَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ الْمَرْدُودِ الْمَرْذُولِ، وَإنَّمَا قَصَدْنَا تَصْوِيرَهُ، وَإلَى اللَّبِيبِ الْعَادِلِ الْعَاقِلِ التَّحَاكُمُ وَلَا يَعْبَأُ اللَّهُ وَعِبَادُهُ بِغَيْرِهِ شَيْئًا، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يُخَصِّصُ شَيْئًا، وَلَا يُفَضِّلُهُ وَيُرَجِّحُهُ إلَّا لِمَعْنًى يَقْتَضِي تَخْصِيصَهُ وَتَفْضِيلَهُ، نَعَمْ هُوَ مُعْطِي ذَلِكَ الْمُرَجِّحَ وَوَاهِبُهُ، فَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُ، ثُمَّ اخْتَارَهُ بَعْدَ خَلْقِهِ، {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ}.

-وَالْمَقْصُودُ أنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اخْتَارَ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ مِنْ أجْنَاسِ الْمَخْلُوقَاتِ أطْيَبَهُ، وَاخْتَصَّهُ لِنَفْسِهِ وَارْتَضَاهُ دُونَ غَيْرِهِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يُحِبُّ إلَّا الطَّيِّبَ، وَلَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ وَالْكَلَامِ وَالصَّدَقَةِ إلَّا الطَّيِّبَ، فَالطَّيِّبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ هُوَ مُخْتَارُهُ تَعَالَى.

وَأمَّا خَلْقُهُ تَعَالَى فَعَامٌّ لِلنَّوْعَيْنِ، وَبِهَذَا يُعْلَمُ عُنْوانُ سَعَادَةِ الْعَبْدِ وَشَقَاوَتِهِ، فَإِنَّ الطَّيِّبَ لَا يُنَاسِبُهُ إلَّا الطَّيِّبُ وَلَا يَرْضَى إلَّا بِهِ، وَلَا يَسْكُنُ إلَّا إلَيْهِ، وَلَا يَطْمَئِنُّ قَلْبُهُ إلَّا بِهِ، فَلَهُ مِنَ الْكَلَامِ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ الَّذِي لَا يَصْعَدُ إلَى اللَّهِ تَعَالَى إلَّا هُوَ، وَهُوَ أشَدُّ شَيْءٍ نُفْرَةً عَنِ الْفُحْشِ فِي الْمَقَالِ، وَالتَّفَحُّشِ فِي اللِّسَانِ وَالْبَذَاءِ وَالْكَذِبِ وَالْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالْبُهْتِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَكُلِّ كَلَامٍ خَبِيثٍ.

وَكَذَلِكَ لَا يَأْلَفُ مِنَ الْأعْمَالِ إلَّا أطْيَبَهَا، وَهِيَ الْأعْمَالُ الَّتِي اجْتَمَعَتْ عَلَى حُسْنِهَا الْفِطَرُ السَّلِيمَةُ مَعَ الشَّرَائِعِ النَّبَوِيَّةِ، وَزَكَّتْهَا الْعُقُولُ الصَّحِيحَةُ، فَاتَّفَقَ عَلَى حُسْنِهَا الشَّرْعُ وَالْعَقْلُ وَالْفِطْرَةُ، مِثْلَ أنْ يَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَيُؤْثِرَ مَرْضَاتَهُ عَلَى هَوَاهُ، وَيَتَحَبَّبَ إلَيْهِ جَهْدَهُ وَطَاقَتَهُ، وَيُحْسِنَ إلَى خَلْقِهِ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَفْعَلَ بِهِمْ مَا يُحِبُّ أنْ يَفْعَلُوا بِهِ، وَيُعَامِلُوهُ بِهِ، وَيَدَعَهُمْ مِمّا يُحِبُّ أنْ يَدَعُوهُ مِنْهُ، وَيَنْصَحَهُمْ بِمَا يَنْصَحُ بِهِ نَفْسَهُ، وَيَحْكُمَ لَهُمْ بِمَا يُحِبُّ أنْ يُحْكَمَ لَهُ بِهِ، وَيَحْمِلَ أذَاهُمْ وَلَا يُحَمِّلَهُمْ أذَاهُ، وَيَكُفَّ عَنْ أعْرَاضِهِمْ وَلَا يُقَابِلَهُمْ بِمَا نَالُوا مِنْ عِرْضِهِ، وَإذَا رَأى لَهُمْ حَسَنًا أذَاعَهُ، وَإذَا رَأى لَهُمْ سَيِّئًا كَتَمَهُ، وَيُقِيمَ أعْذَارَهُمْ مَا اسْتَطَاعَ فِيمَا لَا يُبْطِلُ شَرِيعَةً، وَلَا يُنَاقِضُ لِلَّهِ أمْرًا وَلَا نَهْيًا.



وَلَهُ أيْضًا مِنَ الْأخْلَاقِ أطْيَبُهَا وَأزْكَاهَا، كَالْحِلْمِ وَالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالصَّبْرِ وَالْوَفَاءِ، وَسُهُولَةِ الْجَانِبِ وَلِينِ الْعَرِيكَةِ وَالصِّدْقِ، وَسَلَامَةِ الصَّدْرِ مِنَ الْغِلِّ وَالْغِشِّ وَالْحِقْدِ

وَالْحَسَدِ، وَالتَّوَاضُعِ وَخَفْضِ الْجَناحِ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ، وَالْعِزَّةِ وَالْغِلْظَةِ عَلَى أعْدَاءِ اللَّهِ، وَصِيَانَةِ الْوَجْهِ عَنْ بَذْلِهِ وَتَذَلُّلِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَالْعِفَّةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالسَّخَاءِ وَالْمُرُوءَةِ، وَكُلِّ خُلُقٍ اتَّفَقَتْ عَلَى حُسْنِهِ الشَّرَائِعُ وَالفِطَرُ وَالْعُقُولُ.

وَكَذَلِكَ لَا يَخْتَارُ مِنَ الْمَطَاعِمِ إِلَّا أَطْيَبَهَا، وَهُوَ الْحَلَالُ الْهَنِيءُ الْمَرِيءُ الَّذِي يُغَذِّي الْبَدَنَ وَالرُّوحَ أَحْسَنَ تَغْذِيَةٍ، مَعَ سَلَامَةِ الْعَبْدِ مِنْ تَبِعَتِهِ.

وَكَذَلِكَ لَا يَخْتَارُ مِنَ الْمَنَاكِحِ إِلَّا أَطْيَبَهَا وَأَزْكَاهَا، وَمِنَ الرّائِحَةِ إِلَّا أَطْيَبَهَا وَأَزْكَاهَا، وَمِنَ الْأَصْحَابِ وَالعُشَرَاءِ إِلَّا الطَّيِّبِينَ مِنهُمْ، فَرُوحُهُ طَيِّبٌ، وَبَدَنُهُ طَيِّبٌ، وَخُلُقُهُ طَيِّبٌ وَعَمَلُهُ طَيِّبٌ، وَكَلامُهُ طَيِّبٌ، وَمَطْعَمُهُ طَيِّبٌ، وَمَشْرَبُهُ طَيِّبٌ، وَمَلْبَسُهُ طَيِّبٌ، وَمَنكَحُهُ طَيِّبٌ، وَمَدْخَلُهُ طَيِّبٌ، وَمَخْرَجُهُ طَيِّبٌ، وَمُنْقَلَبُهُ طَيِّبٌ، وَمَثْواهُ كُلُّهُ طَيِّبٌ. فَهَذَا مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ:{الَّذِينَ تَتَوَفّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}. (النَّحل:٣٢).

وَمِنَ الَّذِينَ يَقُولُ لَهُمْ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ:{سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ}.(الزُّمر:٧٢).

وَهَذِهِ الْفَاءُ تَقْتَضِي السَّبَبِيَّةَ، أيْ: بِسَبَبِ طِيبِكُمُ ادْخُلُوهَا. وَقَالَ تَعَالَى:{الخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ}.(النُّور:٢٦).

وَقَدْ فُسِّرَتِ الْآيَةُ بِأَنَّ الْكَلِمَاتِ الْخَبِيثَاتِ لِلْخَبِيثِينَ وَالْكَلِمَاتِ الطَّيِّبَاتِ لَلطَّيِّبِينَ، وَفُسِّرَتْ بِأَنَّ النِّسَاءَ الطَّيِّبَاتِ لِلرِّجَالِ الطَّيِّبِينَ، وَالنِّسَاءَ الخَبِيثَاتِ لِلرِّجَالِ الخَبِيثِين، وَهِيَ تَعُمُّ ذَلِكَ وَغَيْرَهُ، فَالْكَلِمَاتُ وَالْأَعْمَالُ وَالنِّسَاءُ الطَّيِّبَاتُ لِمُنَاسِبِهَا مِنَ الطَّيِّبِينَ، وَالْكَلِمَاتُ وَالْأَعْمَالُ وَالنِّسَاءُ الْخَبِيثَةُ لِمُنَاسِبِهَا مِنَ الْخَبِيثِينَ، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الطَّيِّبَ بِحَذَافِيرِهِ فِي الْجَنَّةِ، وَجَعَلَ الْخَبِيثَ بِحَذَافِيرِهِ فِي النّارِ، فَجَعَلَ الدُّورَ ثَلاثَةً: دَارًا أُخْلِصَتْ لَلطَّيِّبِينَ، وَهِيَ حَرَامٌ عَلَى غَيْرِ الطَّيِّبِينَ، وَقَدْ جَمَعَتْ كُلَّ طَيِّبٍ وَهِيَ الْجَنَّةُ.

وَدَارًا أُخْلِصَتْ لِلْخَبِيثِ وَالْخَبَائِثِ وَلَا يَدْخُلُهَا إِلَّا الْخَبِيثُونَ وَهِيَ النّارُ.

وَدَارًا امْتَزَجَ فِيهَا الطَّيِّبُ وَالْخَبِيثُ وَخُلِطَ بَيْنَهُمَا وَهِيَ هَذِهِ الدّارُ؛ وَلِهَذا وَقَعَ الِابْتِلَاءُ وَالْمِحْنَةُ بِسَبَبِ هَذَا الِامْتِزَاجِ وَالِاخْتِلَاطِ، وَذَلِكَ بِمُوجَبِ الْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ مَعَادِ الْخَلِيقَةِ مَيَّزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، فَجَعَلَ الطَّيِّبَ وَأَهْلَهُ فِي دَارٍ عَلَى حِدَةٍ لَا يُخَالِطُهُمْ غَيْرُهُمْ، وَجَعَلَ الْخَبِيثَ وَأَهْلَهُ فِي دَارٍ عَلَى حِدَةٍ لَا يُخَالِطُهُمْ غَيْرُهُمْ، فَعَادَ الْأَمْرُ إِلَى دَارَيْنِ فَقَطْ: الْجَنَّةِ وَهِيَ دَارُ الطَّيِّبِينَ، وَالنّارِ وَهِيَ دَارُ الْخَبِيثِينَ، وَأَنْشَأَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَعْمَالِ الْفَرِيقَيْنِ ثَوَابَهُمْ وَعِقَابَهُمْ، فَجَعَلَ طَيِّبَاتِ أَقْوَالِ هَؤُلَاءِ وَأَعْمَالِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ هِيَ عَيْنَ نَعِيمِهِمْ وَلَذّاتِهِمْ، أَنْشَأَ لَهُمْ مِنْهَا أَكْمَلَ أَسْبَابِ النَّعِيمِ وَالسُّرُورِ، وَجَعَلَ خَبِيثَاتِ أَقْوَالِ الْآخَرِينَ وَأَعْمَالِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ هِيَ عَيْنَ عَذَابِهِمْ وَآلَامِهِمْ، فَأَنْشَأَ لَهُمْ مِنْهَا أَعْظَمَ أَسْبَابِ الْعِقَابِ وَالْآلَامِ حِكْمَةً بَالِغَةً وَعِزَّةً بَاهِرَةً قاهِرَةً لِيُرِيَ عِبَادَهُ كَمَالَ رُبُوبِيَّتِهِ وَكَمَالَ حِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ وَعَدْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَلِيَعْلَمَ أَعْدَاؤُهُ أَنَّهُمْ كَانُوا هُمُ الْمُفْتَرِينَ الْكَذّابِينَ لَا رُسُلُهُ الْبَرَرَةُ الصّادِقُونَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لَا يَعْلَمُونَ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ}.(النَّحل:٣٨-٣٩).



-وَالْمَقْصُودُ أنَّ اللَّهَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – جَعَلَ لِلسَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ عُنْوَانًا يُعْرَفَانِ بِهِ، فَالسَّعِيدُ الطَّيِّبُ لَا يَلِيقُ بِهِ إِلَّا طَيِّبٌ، وَلَا يَأْتِي إِلَّا طَيِّبًا، وَلَا يَصْدُرُ مِنْهُ إِلَّا طَيِّبٌ، وَلَا يُلَابِسُ إِلَّا طَيِّبًا، وَالشَّقِيُّ الْخَبِيثُ لَا يَلِيقُ بِهِ إِلَّا الْخَبِيثُ، وَلَا يَأْتِي إِلَّا خَبِيثًا، وَلَا يَصْدُرُ مِنْهُ إِلَّا الْخَبِيثُ، فَالخَبِيثُ يَتَفَجَّرُ مِنْ قَلْبِهِ الْخُبْثُ عَلَى لِسَانِهِ وَجَوَارِحِهِ، وَالطَّيِّبُ يَتَفَجَّرُ مِنْ قَلْبِهِ الطِّيبُ عَلَى لِسَانِهِ وَجَوَارِحِهِ. وَقَدْ يَكُونُ فِي الشَّخْصِ مَادَّتَانِ فَأَيُّهُمَا غَلَبَ عَلَيْهِ كَانَ مِنْ أَهْلِهَا، فَإِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا طَهَّرَهُ مِنَ الْمَادَّةِ الْخَبِيثَةِ قَبْلَ الْمُوَافَاةِ، فَيُوَافِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُطَهَّرًا فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى تَطْهِيرِهِ بِالنّارِ فَيُطَهِّرُهُ مِنْهَا بِمَا يُوَفِّقُهُ لَهُ مِنَ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ، وَالْحَسَنَاتِ الْمَاحِيَةِ، وَالمَصَائِبِ الْمُكَفِّرَةِ، حَتّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ، وَيُمْسِكُ عَنِ الْآخَرِ مَوَادَّ التَّطْهِيرِ، فَيَلْقَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَادَّةٍ خَبِيثَةٍ وَمَادَّةٍ طَيِّبَةٍ، وَحِكْمَتُهُ تَعَالَى تَأْبَى أَنْ يُجَاوِرَهُ أَحَدٌ فِي دَارِهِ بِخَبَائِثِهِ فَيُدْخِلَهُ النّارَ طُهْرَةً لَهُ وَتَصْفِيَةً وَسَبْكًا، فَإِذَا خَلُصَتْ سَبِيكَةُ إِيمَانِهِ مِنَ الْخَبَثِ صَلُحَ حِينَئِذٍ لِجِوَارِهِ وَمُسَاكَنَةِ الطَّيِّبِينَ مِنْ عِبَادِهِ. وَإِقَامَةُ هَذَا النَّوْعِ مِنَ النّاسِ فِي النّارِ عَلَى حَسَبِ سُرْعَةِ زَوَالِ تِلْكَ الْخَبَائِثِ مِنْهُمْ وَبُطْئِهَا، فَأَسْرَعُهُمْ زَوَالًا وَتَطْهِيرًا أَسْرَعُهُمْ خُرُوجًا، وَأَبْطَؤُهُمْ أَبْطَؤُهُمْ خُرُوجًا، {جَزَاءً وِفَاقًا}.(النَّبأ:٢٦) {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}.(فصّلت:٤٦).

وَلَمَّا كَانَ الْمُشْرِكُ خَبِيثَ الْعُنْصُرِ خَبِيثَ الذّاتِ لَمْ تُطَهِّرِ النّارُ خُبْثَهُ، بَلْ لَوْ خَرَجَ مِنْهَا لَعَادَ خَبِيثًا كَمَا كَانَ، كَالْكَلْبِ إِذَا دَخَلَ الْبَحْرَ ثُمَّ خَرَجَ مِنْهُ، فَلِذَلِكَ حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُشْرِكِ الْجَنَّةَ.

وَلَمَّا كَانَ الْمُؤْمِنُ الطَّيِّبُ الْمُطَيِّبُ مُبَرَّءًا مِنَ الْخَبَائِثِ كَانَتِ النَّارُ حَرَامًا عَلَيْهِ، إِذْ لَيْسَ فِيهِ مَا يَقْتَضِي تَطْهِيرَهُ بِهَا، فَسُبْحَانَ مَنْ بَهَرَتْ حِكْمَتُهُ الْعُقُولَ وَالْأَلْبَابَ، وَشَهِدَتْ فِطَرُ عِبَادِهِ وَعُقُولُهُمْ بِأَنَّهُ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ وَرَبُّ الْعَالَمِينَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}.

•وَبَعْدَ هَذَا التَّمْهِيدِ الْمُهِمِّ حَانَ أَوَانُ الشُّرُوعِ فِي الْمَقْصُودِ فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ:

•لَقَدْ وَرَدَ ذِكْرُ سَيْنَاء فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تَصْرِيحًا مَرَّتَيْنِ وَذَلِكَ تَعْظِيمًا لَهَا وَبَيَانًا لِفَضْلِهَا:



(١)قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ}. (المؤمنون: ٢٠).

-وَالْمُرَادُ بِالشَّجَرَةِ فِي الْآيَةِ شَجَرَةُ الزَّيْتُون،وَهِيَ شَجَرَةٌ مُبَارَكَةٌ تَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْوَادِي الْمُقَدَّسِ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ نَبِيَّهُ مُوسَى-عَلَيْهِ السَّلَامُ-،وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِطُورِ سَيْنَاءَ . أَيْ : بِالْجَبَلِ الْمُسَمَّى بِهَذَا الاسْمِ فِى مِنْطَقَةِ سَيْنَاء ، وَمَكَانُهَا مَعْرُوفٌ .

-قَالُوا : وَكَلِمَةُ سَيْنَاء - بِفَتْحِ السِّين وَالْمَدِّ عَلَى الرَّاجِحِ - مَعْنَاهَا : الْحُسْن بِاللُّغَةِ النَّبْطِيَّةِ.أَوْ مَعْنَاهَا:الْجَبَل الْمَلِيء بِالْأَشْجَارِ.وَقِيلَ:مَأْخُوذَة مِنَ السَّنَا بِمَعْنَى الارْتِفَاعِ .

-وَخُصَّتْ شَجَرَةُ الزَّيْتُون بِالذِّكْرِ : لأَنَّهَا مِنْ أَكْثَرِ الْأَشْجَارِ فَائِدَةً بِزَيْتِهَا وَطَعَامِهَا وَخَشَبِهَا،وَمِنْ أَقَلِّ الْأَشْجَارِ -أَيْضًا- تَكْلُفَةً لِزَارِعِهَا .

-وَخَصَّ طُور سَيْنَاء بِإِنْبَاتِهَا فِيهِ ، مَعَ أَنَّهَا تَنْبُتُ مِنْهُ وَمِنْ غَيْرِهِ ، لأَنَّهَا أَكْثَرُ مَا تَكُونُ انْتِشَارًا فِي تِلْكَ الْأَمَاكِنِ ، أَوْ لأَنَّ مَنْبَتَهَا الْأَصْلِيَّ كَانَ فِي هَذَا الْمَكَانِ ، ثُمَّ انْتَقَلَتْ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَمَاكِنِ

-وَقَوْلُهُ:{تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلآكِلِينَ}بَيَانٌ لِمَنَافِعِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ عَلَى سَبِيلِ الْمَدْحِ ، وَالتَّعْلِيلِ لإِفْرَادِهَا بِالذِّكْرِ .

-وَالدُّهْنُ : عُصَارَةُ كُلِّ شَيءٍ ذِى دَسَمٍ . وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا : زَيْتُ الزَّيْتُون .

-وَقِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ : {تنبُتُ}- بِفَتْحِ التَّاءِ وَضَمِّ الْبَاءِ – عَلَى أَنَّهُ مُضَارِعُ نَبَتَ الثُّلَاثِيّ .

-فَيَكُون الْمَعْنَى :هَذِهِ الشَّجَرَة مِنْ مَزَايَاهَا أَنَّهَا تَنْبُتُ مَصْحُوبَةً وَمُلْتَبِسَةً بِالدُّهْنِ الَّذِى يُسْتَخْرَجُ مِنْ زَيْتُونِهَا . فَالْبَاءُ فِى قَوْلِهِ {بِالدُّهْنِ} للمُصَاحَبَةِ وَالْمُلَابَسَةِ،كَمَا تَقُولُ:خَرَجَ فُلَانٌ بِسِلَاحِهِ ، أَىْ : مُصَاحِبًا لَهُ .

-وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرو : تُنْبِتُ – بِضَمِّ التَّاءِ وَكَسْرِ الْبَاءِ – مِنْ أَنْبَتَ بِمَعْنَى نَبَتَ . أَوْ :مِنْ أَنْبَتَ الْمُتَعَدِّى بِالْهَمْزَةِ ، كَأَنْبَتَ اللهُ الزَّرْعَ ، وَالتَّقْدِيرُ : تُنْبِتُ ثِمَارَهَا مَصْحُوبَةً بِالدُّهْنِ .

-وَالصِّبْغُ فِى الْأَصْلِ : يُطْلَقُ عَلَى الشَّىءِ الَّذِى يُصْبَغُ بِهِ الثَّوْبُ .

-وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا : الْإِدَام لأَنَّهُ يُصْبِغُ الْخُبْزَ ، وَيَجْعَلُهُ كَأَنَّهُ مَصْبُوغٌ بِهِ .

-أَىْ:أَنَّ مِنْ فَوَائِدِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْمُبَارَكَةِ أَنَّهَا يُتَّخَذُ مِنْهَا الزَّيْتُ الَّذِى يُنْتَفَعُ بِهِ ، وَالْإِدَامُ الَّذِى يَحْلُو مَعَهُ أَكْلُ الْخُبْزِ وَالطَّعَامِ .

-أَخْرَجَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ

(١٨٥١)مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{كُلُوا الزَّيْتَ وَادَّهِنُوا بِهِ؛فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ}.

(٢)وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ (١)وَطُورِ سِينِينَ}. (التّين:١-٢).

-فَالتِّينُ : هُوَ التِّينُ الَّذِى يُؤكَلُ . وَالزَّيْتُونُ : هُوَ الزَّيْتُونُ الَّذِى يُعْصَرُ مِنْهُ الزَّيْتُ ، لأنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ الْعَرَبِ،أقْسَمَ اللَّهُ بِهَاتَيْنِ الشَّجَرَتَيْنِ، لِكَثْرَةِ مَنَافِعِ شَجَرِهِمَا وَثَمَرِهِمَا.

-وَقَوْلُهُ:{وَطُورِ سِينِينَ}اتَّفَقَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى أنَّ الْمُرَادَ بِطُورِ سِينِينَ : الْجَبَلُ الَّذِى كَلَّمَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَسِينِينَ ، وَسَيْنَاءُ ، وَسِينَا ، اسْمٌ للبُقْعَةِ الَّتِى فِيهَا هَذَا الْجَبَلُ ، بِإضَافَةِ (طُور) إلَى مَا بَعْدَهُ،مِنْ إضَافَةِ الْمَوْصُوفِ إلَى الصِّفَةِ .

-قَالَ الْإمَامُ الشَّوْكَانِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- : {وَطُورِ سِينِينَ} هُوَ الْجَبَلُ الَّذِى كَلَّمَ اللهُ عَلَيْهِ مُوسَى،اسْمُهُ الطُّور .وَمَعْنَى سِينِينَ : الْمُبَارَكُ الْحَسَنُ . وَقَالَ مُجَاهِدٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:سِينِين كُلُّ جَبَلٍ فِيهِ شَجَرٌ مُثْمِرٌ ، فَهُوَ سِينِينَ وَسَيْنَاءُ . وَقَالَ الْأخْفَشُ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: طُور : جَبَلٌ . وَسِينِين شَجَرٌ ، وَاحِدَتُهُ سِينَه ، وَلَمْ يَنْصَرِفْ سِينِينَ كَمَا لَمْ يَنْصَرِفْ سَيْنَاء ، لأنَّهُ جُعِلَ اسْمًا للبُقْعَةِ .

-وَأقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِهِ ، لأنَّهُ مِنَ الْبِقَاعِ الْمُبَارَكَةِ ، وَأعْظَمُ بَرَكَةٍ حَلَّتْ بِهِ وَوَقَعَتْ فِيهِ ، تَكْلِيمُ اللهِ تَعَالَى،لِنَبِيِّهِ مُوسَى-عَلَيْهِ السَّلَامُ-.



(٣)وَقَدْ أنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى سُورَةً وَأسْمَاهَا(الطُّور) وَأقْسَمَ فِي صَدْرِهَا بِجَبَلِ الطُّورِ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ:{وَالطُّورِ}. (الطُّور: ١).

-أقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِالطُّورِ الَّذِي هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي كَلَّمَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ نَبِيَّهُ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ-عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-،وَأوْحَى إلَيْهِ مَا أوْحَى مِنَ الْأحْكَامِ، وَفِي ذَلِكَ مِنَ الْمِنَّةِ عَلَيْهِ وَعَلَى أمَّتِهِ، مَا هُوَ مِنْ آيَاتِ اللهِ الْعَظِيمَةِ،وَنِعَمِهِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ الْعِبَادُ لَهَا عَلَى عَدٍّ وَلَا ثَمَنٍ.



(٤)وَهْنَاكَ مَوَاضِعٌ ذُكِرَتْ فِيهَا سَيْنَاء ضِمْنًا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:{فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩)فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}. (القصص: ٣٠-٢٩).

-{ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ } يُحْتَمَلُ أَنَّهُ قَضَى الْأجَلَ الْوَاجِبَ، أوِ الزَّائِدَ عَلَيْهِ، كَمَا هُوَ الظَّنُّ بِمُوسَى وَوَفَائِهِ، اشْتَاقَ إلَى الْوُصُولِ إلَى أهْلِهِ وَوَالِدَتِهِ وَعَشِيرَتِهِ، وَوَطَنِهِ، وَعَلِمَ مِنْ طُولِ الْمُدَّةِ، أنَّهُمْ قَدْ تَنَاسَوْا مَا صَدَرَ مِنْهُ. { سَارَ بِأَهْلِهِ } قَاصِدًا مِصْرَ، { آنَسَ } أيْ: أبْصَرَ { مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ } وَكَانَ قَدْ أصَابَهُمُ الْبَرْدُ، وَتَاهُوا الطَّرِيقَ.

–فَلَمَّا أَتَى مُوسَى النَّارَ نَادَاهُ اللهُ مِنْ جَانِبِ الْوَادِي الْأَيْمَن لِمُوسَى فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنْ جَانِبِ الشَّجَرَةِ إِشَارَةً إِلَى سَيْنَاء: أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِين،فَأَخْبَرَ بِأُلُوهِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ،

وَيَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ،أَنْ يَأمُرَهُ بِعِبَادَتِهِ، وَتَأَلُّهِهِ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى { فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي } وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ، فَأَلْقَاهَا مُوسَى، فَصَارَتْ حَيَّةً تَسْعَى، فَلَمَّا رَآهَا مُوسَى تَضْطَّرِبُ كَأَنَّهَا جَانٌّ مِنَ الْحَيَّاتِ وَلَّى هَارِبًا مِنْهَا، وَلَمْ يَلْتَفِتْ مِنَ الْخَوْفِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا مُوسَى أَقْبِلْ إِلَيَّ وَلَا تَخَفْ؛ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ.

•فَمِنْ خِلَالِ هَذِهِ الْآيَاتِ يَتَّضِحُ لَنَا عَظِيمُ شَأْنِ أَرْضِ سَيْنَاء فَهِيَ بُقْعَةٌ مُبارَكَةٌ،وَهِيَ مَوْضِعُ قَدَمِ الْأَنْبِيَاءِ حَيْثُ مَرَّ بِهَا خَلِيلُ الرَّحْمَنِ إِبْرَاهِيمُ–عَلَيْهِ السَّلَامُ–وَيُوسُفُ وَأَبُوهُ يَعْقُوبُ –عَلَيْهِمَا السَّلَامُ–وَإِخْوَةُ يُوسُفَ–عَلَيْهِ السَّلَامُ–،وَفِيهَا كَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُوسَى بْن عِمْرَان كَلِيم الرَّحْمَن–عَلَيْهِ السَّلَامُ–وَوَطَأَتْهَا أَقْدَامُ نَبِيِّ اللَّهِ هَارُونَ–عَلَيْهِ السَّلَامُ–،وَبِهَا الْكَثِيرُ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَالْكُنُوزِ وَالْبَرَكَاتِ،فَيَا أَبْنَاءَ مِصْرَ احْفَظُوا أَمْنَهَا وَأَمَانَهَا وَاعْمَلُوا عَلَى إِعْمَارِهَا وَصَدِّ الْمُعْتَدِينَ عَنْهَا.

•فَاللَّهُمَّ احْفَظْ بَلَدَنَا مِصْرَ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً سَخَاءً رَخَاءً،وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ،وَفَرِّج كَرْبَ الْمُوَحِّدِينَ الْمُسْتَضْعَفِينَ عَلَى أَرْضِ فِلَسْطِينَ،وَانْصُرْهُم عَلَى أَعْدَائِهِمْ،وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

•كَتَبَهُ:

خَادِمُكُمْ وَمُحِبُّكُمْ فِي اللَّهِ أَبُو أَحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمّد الذَّهَبِيُّ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.





مع تحيات موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

صفحة الشيخ في الموسوعة علي مكتبة نور

https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%AE-%D8%B3%D9%8A%D8%AF-%D8%B9%D8%A8%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D8%B7%D9%8A-%D8%A8%D9%86-%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%87%D8%A8%D9%8A-pdf

